

## فيلم غسان سلهب «الجبيل»... أو كيف وقعت في حب جوني كاش

تديها المثير عن هاوية لا يقاوم نداؤها.

وفي الوقت التالي، يتجنب الرجل حادثة السير. ولكن المفترق يجبره على السوق من طريق آخر حين يزعم منبه حاد، وينتهك وحدته المترفة والحصينة. ويلتهم الحريق السيارة، وجسده معها صدره. ويوحى التراكم هذا بظلال يأخذ بعضها بتلابيب بعضها الآخر. وتبين هذه من ذلك، فهي، على خلافه، مصطنعة ومتعمدة. وحيث لا مصافي عدسات، ولا طبقات من زجاج، لا مناص من خلق الشخص، الرجل. فكأن الرجل يمتنع من الفعل على الجهة الأخرى من المسرح، أو من الشاشة، ويؤثر الأمن ودعة المشاهد المنفرج.

وثمة صور يُشاهد فيها قفا رأس الرجل، أو وهو بإزاء جدار أو بإزاء باب أو شبك مغلق. فماذا يرى مشاهد يراه غير نفسه؟ وكيف يملأ المكان بين وجهه وبين ظله وطيفه؟ بالموسيقى؟ الموسيقى نفسها لا تناسب، وتفتقر إلى القوة والمتانة، وتقتصر على أصوات خلفية غائمة. بالكتابة؟ الكلمات تتدافع من غير سياق، وتبني أحلاماً وأماناً، ويقيناً ربما، قبل أن تنتهي إلى ركام قسما تعصى الفهم في أثناء الوقت الخاطف الذي تظهر فيه على الشاشة.

فهل يكون الفيلم كله مواجهة، الوجه إلى الوجه؟ أم هو عبارة عن استحالة هذه؟ حين يخرج الرجل من قوقعته يسمع طلقة نار، ويرى رجلاً يحتضر بعد أن أطلق رصاصة في حلقه. والرجل هو غسان سلهب نفسه. وهذا ضرب من الإسقاط، أو التطهر الذي يجيب مهمة التخييل أو الإخراج أو الخلق، الأولى وربما الوحيدة: التأديب بأدب استقبال الموت الممتنع والفاجع. وذهب غسان سلهب، في أثناء المناقشة، إلى أن عمله «مقالة» على معنى التجريب، أو على معنى مجرى أفكار تحك الواحدة فيه الأخرى ويقودها الاستفهام والأسئلة، أو على معنى امتحان الهلع، على شاكلة مسيرة طويلة في ركاب الثلج.

بإزاء الوشم في الثلج تضج أسئلة متنافرة في الرأس: إلى أين يقود الوشم؟ من خلفه؟ ومن بعد: أي أثر؟ ويغشى السائل قلق مصدره الخشية من إحاء الأثر وذوبانه في السديم الأبيض والصافي، في غفلة الثلج المجرمة والكاذبة إلى أبد الأبد. فهل يستوفي هذا تحليل الصورة الأخيرة، أي محاولة تثبيت اللحظة الهاربة، ومغالبة الزمن وعناصر الطبيعة وحقيقة التبدد؟ يتناول كاتب «في الطريق» كيرواك، التقنية فيقول: «اصدع بالبدد ولا ترج العوض». وفي عبارة أخرى، أصنع أفلاماً.

(نقله عن الفرنسية وضاح شرارة)



● غسان سلهب

سلهب نفسه، جالساً إلى مكتبه وضوء اللمبة، في الفندق نفسه، وهو يكتب، ويجمع ملاحظاته المتفرقة، وجمله المتناثرة؟ والحق أن هذين الفصلين، فصل الطريق ثم فصل الجبل، يأتلفان اثتلافاً مرناً لا عثرة فيه. والطريق التي تشق جنبات الشاطئ تمضي على وجهها إلى جسد فادي سمرا وتوئته المشدودة، وجبهته المتغضنة والمحفورة، وجلده الأسمر والمرن، وشعره الأسود والفاحم. وتشبه صورة وجهه القريبة، وهو مغمض العينين، صور وجوه السوراليين من غير تصنعها. وغالباً، يغرق وجهه تحت طبقات من الزجاج، ووراء مصافي العدسات وأطياف المرايا. فتحوطه أحابيل سحرية وشعاب متقاطعة ومتفاوتة. ويحوطه، في عبارة مختصرة، كذب مديد.

وهو يكذب ويرائي حين يوصل صديقه إلى المطار ويقول له قولاً مسرحياً: «طويل الشهر...»، ويسأل: «هل ستشتاق لي؟». وتكذب الطريق المضاءة بأضواء السيارات البيضاء، والانعطاف إلى اليمين، على مضمض المقود، في اللحظة الأخيرة، صوب جناح الذهاب. وفي الطريق، في ضوء صقئ مصابيح السيارات الرائحة والغادية، يلبس الخطر العالم الممتلئ بوجوه من غير قسما، والغارق في نقع الليل، حين يرف فجأة في مسمعنا صوت يحشرج. والفتاة التي تترأى في ثنايا أخيلة زجاج السيارة، بمحطة المحروقات، تسفر عن وجهه مصاصة دماء يتخلل الظلال والأضواء المتماوجة، وينشق مفترق



● فادي أبي سمرا في «الجبيل»

ومعها الرجل نفسه. وهذا يخرج من الصورة، ومن مناطحته العالم، بخطو ثابت إلى زاوية أخرى من المتاهة. وتثبته صورة ساكنة، وهو يحلق غارقاً في ضجيج آلة الحلاقة الهائى، ثم النقرتان اللتان لا تحولان. فهل تراه يعد نفسه لمواعدة؟ كان الأمر ليصدق لولم يتكشف نظير مشهد الحلاقة، حين طرق الباب، عن جدار أمليس وصقيل من غير مرآة. وعليه، يتبدد اللقاء، ولا سبيل إلى التثبت من حاله ومآله.

وهذا الانكفاء التام إلى النفس وعليها - جهاز التلفزيون إلى الجدار، والتلفون خارج الوصلة، والأكل المقتصر على الحليب والخبز، وإمساك نسكي غير مقتصد في نسكه - يقود إلى قلب الرجل، إلى ما هيته. وهو، في لجة روحاته وجيئاته، ينظر إلى عانته، ويند منه قول مشفق فوق ما هو أمر: «كفى!». والانكفاء إلى النفس وعليها قد تختصره صورة تتردد وتكرر: غرق الخطو في الثلج وتوقيعه الفيلم من صورة الابتداء إلى آخر صورة. ويحمل بياض الثلج الجارح ونوره الباهر، المتفرج، في كل مرة، على الخروج من غفلته، ويقسره على تعقب آثار الرجل على الطريق الملتوي من بيروت إلى الجبل.

ويوضح غسان سلهب في المناقشة التي تلت عرض الفيلم أن السيناريو الناجز، أي ذلك الذي استبق تصوير الشريط، انتهى إلى حين الوصول إلى الجبل، ولم يتجاوز الوصول. والبقية ولدت تدريجاً، وفصلاً بعد فصل، في أثناء التصوير. فكيف لا يتخيل المنفرج غسان

### غلس شرارة

بيروت درب التبانة، على ما تُرى معلقةً من الجبل، لا يسير قاعها أو غورها. والرجل الذي يراقب مدينته هو ملاح فضائي، يطفو حراً ومن غير مرساة ما أن يخرج من دعة قمرته، سيارةً تنشب في فضاء الليل. إنها حكاية رحلة أرمسترونغ مستعاد في عري فادي أبي سمرا الفضائي وأدائه. أكون الجبل الأخاديد البيض والبعيدة على الدوام على سطح ذلك القمر الذي يقر في طويتنا؟

ها أنا بلغت يسوع، وهذا يكفيني (جوني كاش)

في ضوء هذه الكلمات تجلج بعض وجوه الشريط هالة تكاد تكون صوفية، هي جزء من تعبد قبلي أو شعيرة برية. ففادي أبي سمرا، الممثل الذي يؤدي دور الهندي الأسود النازل بأرض الجبل الثلجية، يتمم رُقى أو تعويذات لا يرمي بها إلا نفسه، وخلف دخان سيجارة ينقلب بالأحرى إلى عزاف ينفخ في شيشته. ثم تتبدد الصنوبرية تحت السرير وتهوي، وهي حُدىس بها علي شاكلة حيوان ينتظر علامة تعارف، وحفظت كما يُحفظ الفأل ويعلق. وعري هذا الجسد منحوت بعنمة الصورة وضوئها الأبيض، ضدين يبثان في العينين التماعاً شيطانياً، وفي الجسد قوة لا تصدق أو فوق التصديق.

وفي الجبل حيث استأجر بيتاً هذا الهارب من المدينة، برد. وعلى رغم النوافذ المغلقة، والباب المرود بإحكام، تتلوى الريح خلف الجدران، وتتسلل وتنتحب وتزمرجر. وأغصان الشجر تصفع الزجاج فتتثره، وتقتحم عالم الرجل المطوّف بقاع الحجرة رؤياً رقيقة الوقوع بينما يتصدر الصورة وجهه الأسود، ويهمس كلماته كأنها صلاة. وتحل محل الخادمة الخفية، متأخرة، امرأة مرئية على حين اقتصرت الخادمة على نقرات على الباب تعلق الوقت والأنفاس، وانتظاراً لا نهاية له يتمطى بين النقرتين، ويبدد افترار الرجاء عن فعل ما، ويحفر هاوية بين هذا النداء وبين جوابه الأخرس. ويعترينا الخوف لأن النقرتين تتمان بتهديد، فنود لو يحجم الرجل عن فتح الباب. ولكننا، في كل مرة ينزلق الباب، يستولي علينا خيال القد المشوق المرغوب والمخيف معاً، وهو يظهر علينا من وراء ستارة المسرح، ويشخص أمامنا حين ترتفع.

وشيناً فشيناً - كم مضى من الأيام؟ - تتسع حجرة الفندق وتنفجر. وتغرق حجرة النوم والمكتب والأريكة ودورة المياه في الردهات المعقدة ومتاهاتها. ويلتهم زوم داخلي بطيء إطار آلة التصوير وإطار الباب معاً. ويضيئ الزوم معالم الأمكنة وتعرفها،